يا عمير ، أنت قتلت العصماء؟!

كانت عصماء بنت مروان من بني خطمة في المدينة ، وكانت تُحرّض المشركين وأعداء الإسلام ، علىٰ محاربة رسول الله ﷺ ، وتحاول أن تبثّ الفرقة بين الأوس والخزرج ، وهي شاعرة ، وكثيراً ما كانت تُؤذي رسول الله ﷺ ، وهو يصبر عليها.

وحين توجّه رسول الله ﷺ بأصحابه إلىٰ بدر ، كانت عصماء تستهزئ بالمسلمين ، وتُشيد بموقف قريش ، وتبثّ الشائعات السيئة تحاول بها أن تثبّط العزائم! فنذر عمير بن عدي الخطمي ، لئن ردّ الله رسوله سالماً من بدر إلىٰ المدينة ، ليقتلنّها ، وكان عمير مكفوف البصر ، وهو إمام بني خطمة وقارئهم ، فلما دعا رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة ، عزم عمير علىٰ أن يفي بنذره.

فدخل دار عصماء ليلاً ، وقصد حجرتها ، فدخلها وهي نائمةٌ مع أولادها ، فجسّهم بيده ، حتىٰ عرفها ، فوضع السّيف في صدرها حتىٰ أنفذه من ظهرها ، ثم خرج وأتىٰ المسجد قبيل الفجر.

وبعد صلاة الفجر ، قام لينصرف ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ، وسأله: «أقتلتَ بنت مروان؟».

قال: نعم ، قال: «نصرتَ الله ورسوله يا عمير».

فقال عمير: هل عليّ من شأنها شيء يا رسول الله؟

قال: «لا ينتطح فيها عنزان».

ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إذا أحببتم أن تنظروا إلىٰ رجلٍ نصر الله

ورسوله بالغيب ، فانظروا إلىٰ عمير بن عدي» .

وكان رسول الله ﷺ يسمّيه : عمير البصير ، ولما عاد عمير إلىٰ أهله في بني خطيمة ، وجد أولاد عصماء في جماعةٍ يدفنونها! فقالوا: يا عمير ، أنت قتلتها؟

قال: نعم ، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظروني ، فوالذي نفسي بيده ، لو قلتم بأجمعكم ما قالت ، لضربتكم بسيفي هذا حتىٰ أموت أو أقتلكم!![1] .

نعم يا عمير البصير!

سلمتْ يداك علىٰ ما فعلت بالعصماء ، ذلك لأن حكم من سبّ الرسول ﷺ هو ما قاله ابن المنذر رحمه الله تعالىٰ: أجمع عوامُّ أهل العلم علىٰ أنّ من سبَّ النبي ﷺ يُقتل ، وممن قال ذلك: الإمام مالك ، والإمام الشافعي ، والليث بن سعد ، والإمام أحمد.

وقال الإمام مالك رحمه الله: من سبّ رسول الله ﷺ ، أو شتمه ، أو عابه ، أو تنقّصه ، قُتل ـ مسلماً كان أو كافراً ـ ولا يُستتاب.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

فهنيئاً للصحابة علىٰ غيرتهم علىٰ رسول الله ﷺ ، وطوبىٰ لهم علىٰ ما بذلوا وضحّوا في سبيلِ نصرة روح الوجود محمد ﷺ.

وهكذا يجب أن تكون الأمة الإسلامية ، كلها تقف في الصف الأول لنصرة قضايا الإسلام والمسلمين. نعم يا رحمةً للعالمين أرسلك الله سبحانه وتعالىٰ:

الحق أنتَ وأنتَ إشراق الهدىٰ ... ولك الكتاب الخالد الصفحاتِ
من يقصد الدنيا بغيرك يلقها ... تيهاً من الأهوال والظلماتِ

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ٢/ ١٨ ، سيرة ابن كثير: ٤/ ٤٣٩ ، الإصابة: ٥/ ٣٤.